مقدمة:

تعد الجزائر من البلدان العربية المهمة من حيث: الموقع الجغرافي الاستراتيجي، التنوع في الثروات الطبيعية (خاصة البترول والغاز الطبيعي)، وتنوع المناخ والمحاصيل الزراعية، إلى جانب الثروة البشرية بأبعادها التاريخية /الحضارية. ولقد شهدت الجزائر تجربة طويلة في ميدان التعليم عرفت مراحل عدة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مراحل أساسية هي: مرحلة ما قبل الاحتلال الأجنبي، مرحلة الاحتلال الفرنسي ثم أخيرا مرحلة ما بعد الاستقلال وهي المرحلة الحاسمة في علاقتها بالتنمية ومتطلباتها.

يتناول العديد من الباحثين مسألة التطور التاريخي لمؤسسات التعليم في الجزائر، مستهدفين محاولة إبراز أهم السمات الثقافية التي كانت تطبع الشخصية العربية في المنطقة، ثم محاولات الاستعمار طمس هذه السمات، بإدخال متغيرات ثقافية مستعارة من ثقافة الغرب، ثم الدور الهام الذي قامت به مؤسسات التعليم الأهلي في المحافظة على مقومات الهوية الوطنية التي كانت سببا في تحصيل الاستقلال فيما بعد.

لقد مرت الجزائر بعد الاستقلال بتجربة طويلة في ميدان العمل التربوي عموما وهذا من خلال المخططات التي سطرتها السياسة التنموية[1] عموما في البلاد –سواء الثلاثية منها أو الرباعية والخماسية–، حيث كانت ولا تزال تسعى إلى إحداث تغييرات تعجل في إسراع وتيرة التنمية التي لم تعد اليوم تتوقف وحسب على المنجزات المادية بل أضحت تركز اهتمامها أكثر على تنمية الثروة البشرية تنمية تتماشى وروح العصر التي تقوم على الجودة العالية والنوعية المتميزة.

النظام التربوي في الجزائر

يعكس النظام التربوي طموحات الأمة ويكرس اختياراتها الثقافية الاجتماعية ويسعى في حركية دائمة إلى إيجاد الصيغ الملائمة لتنشئة أجيال تنشئة تجعل منهم مواطنين فاعلين قادرين على الاضطلاع بأدوارهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على الوجه الأكمل، وتجد حركية النظام التربوي مصدرها في الحفاظ على التراث الثقافي الوطني والقيم الدينية والاجتماعية للمجتمع الجزائري عبر مسيرته التاريخية من جهة، واستشراف المستقبل بمستلزماته العلمية والتكنولوجية من جهة أخرى, لإعداد الأجيال إعداد يحفظ لهم هويتهم ويمكنهم من رفع التحديات المختلفة التي تفرضها العولمة.**(وزارة التربية الوطنية: ،ص3)**

اتخذ هذا المدخل للتعبير عن ضرورة المدرسة الجزائرية في تجديد مناهجها، وتغيير طرق عملها ونسق إدارتها، لكنه في الحقيقة ذو أبعاد متعددة وعند استخدام كلمة بعد إنما هي إشارة لعمق الدلالة، فهذا النص تعبير صريح واضح عن الدور الرئيسي للنظم التربوية كونها مرآة عاكسة للمجتمع من جهة، ووسيطا للتنشئة الرسمية من خلال نقل الخبرات للأجيال والحفاظ على ثقافة المجتمع الجزائري واستدماج للمستجدات العلمية والتكنولوجية ومجابهة العولمة، وتتضح أهمية النظام التربوي في أنه سياق تفاعلي مع بقية الأنظمة في مواكبة الحركية أو الدينامية الحاصلة بالمجتمع، فالنظام التربوي مؤثر ومتأثر في ذات الوقت، يؤدي وظيفة لا تقتصر على نقل المعارف بل تتجاوز ذلك إلى مهمة تنشئة الأجيال ما يحقق فائدة للفرد والمجتمع على حد سواء فيكتسب الأفراد القيم والاتجاهات ويصبحوا قادرين على الاضطلاع بالأدوار المنوطة بهم. وهذا التحليل إنما يزيد من القيمة العلمية لهذه الدراسة التي تسعى للبحث في المناهج الدراسية الجزائرية.

1 تعريف النظام التربوي الجزائري:

يعرّف النظام التربوي الجزائري بأنه: "تلك المكونات الأساسية المتفاعلة وفقا للمرجعية المبنية على مختلف دساتير الجزائر والتوجيهات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لها، في ظل التعددية والانفتاح الاقتصادي والمحافظة على هوية الشعب الجزائري وأصالته وقيمه، والتي تهدف إلى تكوين الفرد الجزائري المشبع والمعتز بثقافته والمتفتح على عصره. **(وزارة التربية الوطنية: 2004، ص12)**.

2-مبادئ النظام التربوي الجزائري:

بنيت السياسات التعليمية في الجزائر على المبادئ التالية: **(علي بوعناقة، بلقاسم سلاطنية: ب ت، ص ص 51-52)**

أ-الوطنية: يتمثل في أن الإسلام والعروبة والأمازيغية هي المكونات الأساسية لهوية الأمة الجزائرية، التي تكرس أصالتها ويتعين على المؤسسات التربوية ترسيخها لدى المتعلمين لضمان الوحدة الوطنية والمحافظة على الشخصية الجزائرية، كما يتعين عليها إحداث تماسك بين القيم الأصيلة وبين ما تطمح إليه الأمة من تقدم.

ب الديمقراطية: يتجلى هذا المبدأ في التوجهات الجديدة للبلاد الرامية إلى بناء نظام تربوي ديمقراطي يعمل على نشر الثقافة والديمقراطية قيما وسلوكا، وذلك من خلال المناهج المدرسية التي تتكفل بالنهوض بهذا المبدأ، كما يعمل النظام التربوي على تكريس مبدأ ديمقراطية التعليم.

ج-العلمية والتكنولوجية: وهذا من خلال إعطاء أهمية للمعارف العلمية والتطبيقات التكنولوجية وربط التعليم بالجانب التطبيقي.

د-العالمية: يتميز العالم اليوم بالترابط في كافة المجالات ووفرة المعلومات والخدمات ما أدى إلى تطوير طرق العمل والتشجيع على الإبداع، وضرورة تفاعل النظام التربوي مع هذه المستجدات والمتغيرات.

3-غايات النظام التربوي الجزائري:

يسعى النظام التربوي في ضوء ما سبق طرحه من مبادئ إلى بناء مجتمع متكامل متماسك معتز بأصالته وواثق بمستقبله يقوم على تحقيق الغايات التالية: **(وزارة التربية الوطنية: 2004، ص ص.7-9)**

أ الهوية الوطنية المتمثلة في الإسلام عقيدة وسلوكا وحضارة وتعزيز دوره في تماسك المجتمع الجزائري، وفي العروبة حضارة وثقافة ولغة. وفي الأمازيغية ثقافة وتراثا وجزءا من مقومات الشخصية الوطنية. _

ب روح الديمقراطية التي ترمي إلى ترسيخ القيم التالية: احترام حقوق الإنسان وحقوق الطفل، حرية التفكير والتعبير واحترام الرأي الآخر، العدالة الاجتماعية، حسن التعايش والتكافل الاجتماعي ونبذ العنف، المساواة وعدم الإقصاء أو الميز. _

ج- روح العصرنة والعلمية التي تمكن المجتمع من مواكبة التطورات العلمية بـ: التحكم في العلوم الجديدة والتكنولوجيات المستحدثة، التحلي بالقيم الإنسانية النبيلة، الإسهام في بناء الحضارة الإسلامية.

د- تكوين المواطن وإكسابه القدرات والكفاءات التي تؤهله لـ: بناء الوطن في سياق التوجهات الوطنية ومستلزمات العصر، توطيد الهوية الوطنية بترسيخ روح الانتماء للوطن والدفاع عن وحدته وسلامته والعقيدة الإسلامية السمحاء.

هـ- ترقية ثقافة وطنية متفتحة على الثقافة العالمية الهادفة إلى:

- تربية النشء على الذوق السليم والتطلع إلى قيم الحق والعدل والخير والجمال وحب المعرفة.
- تنمية التربية من أجل الوطن والمواطنة بتعزيز التربية الوطنية والتاريخ الوطني.
- امتلاك روح التحدي لمواجهة رهانات القرن الواحد والعشرون والتكيف مع مستلزمات العصر والتأقلم مع مقتضيات العولمة.

4-ركائز المنظومة التربوية:

لكل منظومة ركائز تقوم عليها، ويمكن تحديد ركائز المنظومة التربوية الجزائرية فيما يلي: (**علي بن محمد: 2001، ص ص 35-39**)

4-1-الأصالة:

ينبغي أن تكون المنظومة التربوية معبرة عن الأصالة الحقيقية للمجتمع الجزائري، ويقصد بالأصالة أن تتمكن المدرسة من صياغة قيمها من خلال المجتمع، وأن تستنطق تاريخها من كل حقبة وأن تعبر عن حضارته، مع إمدادها بواقع العصر الحديث، بالتالي خلق مجال للتفاعل مع المعطيات المتغيرة، والأصالة لا تساوي الجمود بل تستنطق الماضي لتوظفه في خدمة الحاضر والمستقبل من خلال الجديد من المعطيات على الساحة العالمية.

4-2-الحداثة:

إذ يتعين على المنظومة التربوية الجزائرية كغيرها أن تقوم بوظيفتين هما: الحفاظ والتغيير، فالمحافظة تتمثل في الأصالة، والتغيير يتمثل في الحداثة؛ وهذا يعني في الواقع: التوازن الخلاق، المبدع بين الأصالة والتجديد، بين قيم المحافظة وقيم التغيير. والحداثة لا تمثل فقط وسائل عصرية ينبغي توفيرها في المدارس بل أكثر من ذلك، فكما أشار "علي بن محمد" أنها موقف تربوي وسلوك وفكر نشيط،

ومنهج في التعامل مع الواقع، هي إبداع يقضي إلى خلق واقع في المدرسة الجزائرية يمتاز بالطرح الجريء والتحليل العلمي، والمناقشة الموضوعية، والقدرة على نقد الأفكار وترجيح بعضها على بعض على أساس الحجج والبراهين، هذا هو مفهوم الحداثة أو جانب هام منها.

4-3-العقلانية:

وتعني الموازنة بين اعتبارات الموقف الموضوعي، وآثار الموقف الوجداني الإيجابي الذي يمكن الإنسان من التكيف مع معطيات محيطه برد فعل الإنسان بعيدا عن الآلية، مع ما يفرض على المدرسة التخلي عن أساليب التلقين وفرض السلوك وتدريب المتعلمين على الاستجابة الآلية.

4-4-الفعّالية:

يقصد بالفعالية بالنسبة للنظام التربوي أن يكون مردوده في مستوى التضحيات المادية والمعنوية الكثيرة التي تتحملها الأمة من أجل تعليم أبنائها، وتأتي الفعالية عن طريق الكفاءة والجدية، والمنظومة التربوية مسؤولة ليس فقط عن الجدية داخل هياكلها، بل على إحداث روح الجدية في المحيط الخارجي لأنها هي التي تفعلها وتبثها، وتنشر قيم التمسك بها.

ثالثا-المراحل التطورية للنظام التربوي في الجزائر:

إن الجزائر ذات تاريخ عميق صارع فيها الجزائريون للمحافظة على هويتهم وأصالتهم في ضوء عديد المتغيرات والاحتلالات والحضارات المختلفة، وهذا له أثر على الحياة الاجتماعية والثقافية التي عرفت تحولات عديدة منها ما تضمنه الوضع التربوي في كل محطة من المحطات وفي هذه النقطة يمكن التحليل للوقوف على الوضع التربوي قبل الاحتلال الفرنسي وتحديدا خلال العهد العثماني.